نشأة الحواضر الإباضية الميزابية وتطورها من خلال مخطوط مالكي لصاحبه السيد أحمد بن التومي مع تقديم للشيخ بن القاسم الحطفي

أ/ فتيحة يطو

جامعة جيلالي اليابس -سيدي بلعباس

- تقديم

تكتسي المخطوطات أهمية بالغة في الدراسات التاريخية من حيث أنها تشكل مصادر ينبغي استثمارها في تتبع الحقائق التاريخية،علّها تسدّ ثغرة في مرحلة أو منطقة معينة من التاريخ،أو تسلّط الضوء على ما ظل غامضا أو مبهما لعهود،فتثبت ما هو مسلم به أو تنفيه أو تصححه.

من هنا تأتي أهمية هذا الموضوع الموسوم ب"نشأة الحواضر الميزابية وتطورها من خلال مخطوط السيد أحمد بن التومي" والمتعلق بتاريخ منطقة وادي ميزاب المتعطشة للمصادر المالكية أو الإباضية على حد سواء، وقد اقتطعنا منه الجزئ المتعلق بتعمير وتأسيس القرى الميزابية لاستخلاص ما تعلق بهذا الجانب سواء من الناحية التركيبة البشرية، المذهبية، البناء، السقاية، الحرث والزرع، ومسألة التواريخ المختلف فيها ، ثم مقارنتها بما اتفق عليه

الإباضية في كتاباتهم وما تبناه الفرنسيون خاصة من طرح في مؤلفاتهم،علّنا نتوصل إلى شيء من الاختلاف الذي يثري الجانب التاريخي ويفتح الآفاق لتوسعة البحث،الإضافات،وإعادة كتابة تاريخ وادي ميزاب على ما استجد من معلومات

- التعريف بصاحب المخطوط

عرّفه أحفاده بأنه عبد القادر بن ابراهيم بن مطلق بن محمد بن سيدي السماحي بن بلقاسم بن سعيد بن يحيى من سلالة السيد علي وفاطمة رضوان الله عليهم وله عدة كنايات منها زنبط، عبد القادر بن برهوم، شيخ العرش (سلطان)، بوشوشة ومحمد بن عبد الله أو عبد الله بن ابراهيم، عبد القادر الأغواطي وعبد القادر الصحراوي وأعطيت له هذه الألقاب تسترا من متابعة فرنسا، ويحددون ميلاده بتاريخ 1820م بجنان الدار ببريان.

نشأ بالمغرب بعض الوقت وسط أسرة عريقة ،ثم تلقى دروسه من فقه الشريعة على يد أبيه [1] وجده ومشايخ المدينة ، ثم درس بزوايا كثيرة منها زاوية سيدي يعقوب ثم أصبح مدرسا بها وتزوج هناك بإحدى حفيدات سيدي يعقوب ثم انتقل إلى الجزائر ثم رجع إلى الأغواط حيث يقيم بعض أشقائه.

قام بتوسعة المسجد العتيق المالكي وأوقف معظم ممتلكاته له ،و أوصى الأهالي بتوقيف الممتلكات لمنعها من سياسة مصادرة الأراضي الجزائرية.

كانت له علاقات وطيدة ،مع الثائر ابن السويسي بورنان ..،وعانى من الإحتلال بسبب مساندته للثائر بن ناصر بن شهرة الذي بايعه وحارب معه وزوده بالمجاهدين والمؤن والأسلحة فاضطر للخروج من بريان ووطد علاقته مع الشيخ بوعمامة ، وخاض معركة ضارية مع فرنسا بمدينة الأغواط،ثم بالعرق الشرقي وداخل بسكرة ثم بالكبش وواد النساء ومدينة بريان والهضاب، فلاحقه الإحتلال خاصة بعد دخوله الأغواط وإبرام إتفاقية مع أهل غرداية وتعيين المستعمر حاكما لورقلة،وكان له الفضل في فك الحصار الذي فرض على الأمير عبد القادر بتاجموت- الأغواط – كما قضى على أول قائد لفرنسا بمنطقة بريان ، وسجن بكورسيكا بعض تعرضه للتعذيب الشديد،و بعدها استبعد إلى تونس ثم رجع مرة أخرى وحاول مع مناصريه التصدي للإستعمار خاصة بعد انتكاسة مقاومة الشيخ بوعمامة ،فصودرت أملاكه ولوحقت عائلته.دامت مقاومته أكثر من خمسين سنة وتوفي سنة 1911.[2]

لكن الإباضية لهم رأي مخالف فيه ،مبني على المصادر الفرنسية ، إذ نجدهم يفرقون بين شخصه وشخصية الشريف محمد بن عبد الله[3] ،وورد في كتبهم أنه أحمد بن التومي بن ابراهيم ويدعى بوشوشة بمعنى الفارس ولد في قرية الغيشة قرب المنيعة بجبال عمور حوالي 1862-1867.نشأ منذ صغره متنقلا في دائرة البيض يزاول مهنة الطب التقليدي وكتابة التمائم [4] ، ثم انصرف إلى جمع الأموال والمؤن والأسلحة الضرورية بوسائل السلب

والسطو فسطا في بعض الطريق على أموال بعض خصومه فأوقفع قائد البيض من أولاد سيدي الشيخ واقتاده إلى مدينة معسكر حيث قدم إلى محكمة تأديبية حكمت عليه في 22 ديسمبر 1872 بعام سجنا قضاه في بوخنيفيس قرب بلعباس وبعد خروجه من السجن حاول أن يلعب دورا في ثورة أولاد سيدي الشيخ التي اندلعت عام 1864 لصالح أهدافه الخاصة ولكنه لم ينجح

ثم انتقل إلى تونس وطرابلس ورجع إلى الجزائر وأخذ ينتقل بين واحة الأغواط وفيقيق وزاوية مساورة ثم إلى زاوية كرزاز ثم انتقل إلى نواحي توات ثم عزم على الذهاب إلى الحج ولم يوفق لأسباب منها حوادث المجاعة الكبرى في سنة 1867 وما بعدها، فأصبح قاطع طريق فانظم إلى جماعة طوارق مداقنة التي تأسست عام 1869 ودأبت على اختراق الصحراء لممارسة السطو والنهب والخطف حسب رأي الكاتب لوشاتوليي le chatelier [5]. تمركز بوشوشة في بداية أمره بواحة عين صالح وأعلن نفسه زعيما وشريفا فبايعه الشعانبة المواضي وفي فيفري 1870 بايعه الشعانبة بورقله فأخذت حركته تمتد وتنتشر وفي خلال شهر مارس إصطدم بسكان الأرباع وجماعة سعيد عتبة في صحراء الحمادة وفرض سيطرته على واحة المنيعة في شهر أبريل وفي 5 ماي كان بضواحي متليلي وفي 12 ماي كان في آبار سبسب يشتبك مع الأخضر ابن محمد وسكان الأرباع ثم من هناك واصل طريقه نحو عين صالح وأخذ هو وأتباعه يهاجمون خصومهم من أعوان الفرنسيين

حاول اقتحام وادي سوف في 1871 لكن سكانها قاوموه، وسيطر في نفس اليوم على ورقلةدون صعوبة نظرا لوجود أنصاره بها، فأذن للذوواديةبالرغم من أنهم خصومه، بتخريب متاجر الميزابيين،الذين رفضوا سيطرته على المدينة،وكان يريد بذلك استمالة الذوواديةالهلاليين والإنتقام من الميزابيين،وعين ابن ناصر بن شهرة آغا على ورقلة ،وشكل اعتداءه على إباضية ورقلة سببا في عرقلته في وادي ميزاب،كما دخل تقرت وبايعه أهلها،وطلب من أراد الخروج الأمان منه لكنه لم يستطع الوفاء بعهده،فقتل منهكم خمسين شخصا، وحصل على قاعدتين وهما ورقلة وتوقرت،و أقبلت عليه المؤن والأسلحة المستوردة من تونس ومالطة بواسطة التجار اليهود ، وتحالف مع محمد بن عبدالله وابن الناصر بن شهرة في ثالوث دفاعي قوي نشطوا في دفع سكان الواحات الصحراوية إلى الثورة لكنه كان نشاطا انتقاميا أكثر منه ضد الإحتلال ، وأصبح لزاما عليه التوجه شمالا لمواجهة الإحتلال لكنه تخاذل فتشاغل في أطراف الصحراء بمناوشة إخوانه وبالسلب والنهب وإخماد الروح الوطنية ،ووكان أن أراد إخضاع وادي ميزاب ، فعينوا هؤلاء إمام دفاع لمقاومته والإنتقام منه على ما فعله بإخوانهم في وارجلان ، فولى الإدبار بعدما شاهد جمعهم في بطحاء كاف الدخان بالعطف .

كلفت فرنسا بعض أعوانهم من أبناء الوطن بملاحقته منهم السعيد بن ادريس وأخوه آغا المنيعة فأسروه وأودعوه السجن

وحكم عليه بالإعدام في 29 جوان 1875م بمعسكر الزيتون في ضواحي قسنطينة.[6]

وصف المخطوط

المخطوط هو جواب من السيد أحمد بن التومي ، جاءت بدايته كالأتي:

"إلى حضرة المكرم أخينا السيد أحمد بن التومي بعثت لكم هذا الزمام مع أمبارك بن عيسى الدبدابي تكتب فيه ما تيسر من التاريخ أمزاب وأجرك على الله.."

مؤرخ في أوت من عام 1278م، كُتب بالخط المغربي ،وعدد صفحاته 78 صفحة

تضمن:

1. تقييد وبيان منقول من تأليف الشيخ أيوب بن القاسم العطفي[7] ومن خط يده"*

(قال صاحب المخطوط : هنا إنتهى ما كتبه من خط الشيخ دحمان ابن الشيخ في أواخر الحجة عام 1116 ونقله من خط الشيخ بايوب بن القاسم العطفاوي في صفر عام 880 " ونقلته من خط الشيخ دحمان وأنا في لاله مغنية مدة نفياني من بلادي وتغريبي لغير سبب بدأت فيه يوم الأحد جمادى الأولى عام 1302)"

2. تقييد منقول من خط عمنا الحاج إبراهيم بن سبقاف في الفتن والتعمير، الأنساب ، والأشراف

[3] وصية الشيخ صالح لابنه كاسي بخط كاسي بن الشيخ صالح الغرداوي بتاريخ 5 ربيع الأول عام 1125 بخط يده وفيها حديث عن المالكية الذين اعتنقوا المذهب الإباضي

4. رسالة الشيخ عبد العزيز بن يحيى شيخ غرداية في الفرق

5. رسالة الشيخ القاضي داود بن الحاج بكير قاضي غرداية

نشأة الحواضر الميزابية

تطرق المخطوط في بعض أجزائه لنشأة الحواضر الميزابية وعوامل تعميرها من حيث القبائل العربية والبربرية ، والتركيبة المذهبية ،الإتفاقيات وبنودها الدينية،الإجتماعية والإقتصادية ،وركّز صاحب المخطوط على العامل القبلي الإجتماعي، الإقتصادي من حيث ربط القبيلة بالأرض وتحفيزها على الإستقرار إلى جانب العقود والتحالفات.فإذا بهذا المصدر يسوق معطيات مختلفة بخصوص ما تعارف عليه جمهور المؤرخين العريض من حيث تسمية المنطقة وتعميرها وتشييد حواضرها،نختصرها مع المقارنة فيما يلي:

1/ أصل تسمية ميزاب :

"يقول إبن خلدون وأما بلاد مصاب فطائفة من البرابر بصاد مهملة وأما إسم ميزاب فعلى رجل من الصفرية إسمه ميزاب بن وانشول وله نسب في أحد البربر يقال له حمو إدعي النبوة في المغرب وبدل وغير في الدين وأبطل بعض قواعد الإسلام، وإتبعه كثير من البربر وقتل إلى لعنة الله ولازال اليهود

يسمونه موهاب على ابن سيدنا لوط عليه السلام وأما ما إدعاه أطفيش أنه سمي على ميزاب الكعبة ف هناك وديان كثيرة بالوادي، فمنها زرقون ، الودي الأبيض، البر ،واد النسا، وكلها عامرة بالناس بنيان وخيم ومانزلوا فيه الإباضية إلا بعد خروج أميرهم ووفاته بسدراته ، وقبلهم فما كان إسم هذا الوطن؟[8]

وهو اختلاف مع ما اعتمده جل الباحثين والمؤرخين خاصة الإباضية بشأن التسمية ، والذين تبنوا رأي إبن خلدون في أصل كلمة مزاب ، وذهب إلى أنها مصاب نسبة لبني مصاب من بني واسين، واصل كلمة مصاب هي مصعب، ويرجع السبب في تحريف كلمة مصعب إلى مزاب أن من البربر من لا يستطيع النطق بالعين مخففة وإنما ينطقها همزة وقد يحيلها إلى ألف [9]، وعليه حُرفت كلمة مصعب إلى بني مصاب ثم بني مزاب وأصبح الوادي ينتسب إليهم ولم ينسبوا إليه. وهناك من يرى أن مزاب نسبة إلى جبال الزاب وأمزاب وهي كلمة أصلها بربر زناتة وتعني الهضبة وهي تقع في جنوب بسكرة والذين هاجروا منها قدموا إلى الوادي وأصبح تسمية الوادي ينسب إليهم[10].

2/ دخول الإباضية إلى وادي ميزاب

دخل الإباضية وادي ميزاب عام 434هـ وذلك عند تأسيس قريتي نورة ومليكة بإسم أولاد عبد الله ومن يليهم ،و قبلهم لم يكن ثمة للإباضة قرى أبدا وربما يقول أحد أن العطف كانت

قبل ذلك فلا معارض ولكن ليسوا أهلها إباضية بل صفرية فثبت الإسم للوطن قبل الإباضبية.

و هذا يتفق إلى حد ما مع ما توصل إليه الكثير من الباحثين من أن إعادة إعمار وادي ميزاب لا يرجع إلى نزوح سكان ورقلة ونواحيها إلى الوادي، وإنما يعود إلى هجرة الشعب البريدي من الزاب وإفريقية، خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (11م)، في أعقاب تمركز القبائل الهلالية بالمنطقة[11]

3/تأسيس قرية العطف

كان تأسيسها في القرن الرابع بعد خروج الأمير ومن معه عام 306ﻫ وهو آخر بني رستم الأمير أفلح بن عبد الوهاب.وكان أن وقع فيهم التشتيت فبقي بعضهم في حوز تلمسان وهم قبيلة بني عبد الواد الحاكمين، وبعضهم في وجدة، وبعضهم في طنجة وبعضهم في الشارف وبعضهم لحق بالإمام ولم يصل ،بل مكث في الشارف وبعضهم بقي في الأغواط وفريق إتبعوا الإمام وأجابوه، فرحلوا معه إلى أن وصلوا وادي مية وأسسوا فيه مدينة سدراته .، فإستخرجوا المياه أولا، وشرعوا في تشبيك البنيان إلى أن صارت مدينة عامرة بالأهالي طولها ميلين في عرض ميل، ونشطوا في غرس النخيل والأشجار مدة نصف قرن. توفي الإمام وكثرت الفتن والغارة من المغرب والمشرق وعادت المدينة ترجع القهقري من التعدي فرحل الناس إلى وارجلان.

بقي بعضهم في البادية وهم المسمون بأولاد إسماعيل وقد سماهم الأمير بهذا الإسم وأكبر فريق منهم أولاد عبد الله خرجوا من سدراته بعد وفاة الأمير ب 78 سنة وأسسوا قصورا في حوز وارجلان تلك المدة ثم خرج بعضهم يتجولون في الصحاري لعلهم يجدون مكانا يستقرون فيه فدخل بعضهم العطف والتي تبعد عن باب السعدون مسافة 6 ميل. وفي ذلك الحين كان أهلها صفرية،و بعد نزول هذه القبائل بُني بها المسجدين المالكي والإباضي.

نزل العطف بني مرزوق وبني زلطا وأولاد انصير،وفي منتصف القرن الثامن من الهجرة جاء سيدي سعيد بن سيدي يحيى وبعدها توجه إلى قصر الخنوفة ونزل فيه عند الشيخ محمد بن الطاهر بن سيدهم".[12]

في حين ترى المصادر الإباضية والفرنسية أن العطف أنشاها خليفة بن أبغور عام 402هـ/1012م، تقع على بعد 6 كلم أسفل بونورة، على ارتفاع 490م، تمتد على شاطئ الضفة اليمنى للوادي.وأهل العطف كانوا في قرية تسمى أغرام أنتلزضت ومعناه قرية الصوفة وهي العطف، بلد سليمان بن عبد الجبار المعتزلي[13].ويختلف جون مليا في تحديد تاريخ تأسيسها إذ يقيده بسنة 1014م[14].

4/بونورة

"في عام 434 هـ أختطت القريتين نورت ومليكة، وهما إسمين لامرأيتن من العجائز فيهن خير.

وذكر البعض أن إسم نورة التي تبيع النوره، ومليكة تبيع اللك ،لكن لا يبدو هذا صحيحا لأنه من أين لهن هذا في تلك القريتين[15]"

و يبدو أن هناك شيء من الاتفاق مع باقي المؤرخين بشأن بونورة وهي اسم لقبيلة بريرية، تأسست سنة 457هـ/1056م، أو سنة 1048م، على بعد 1.800 كم من بني يزجن، على ارتفاع 600م، على قمة معزولة تشكل جزيرة في وادي ميزاب بالقرب من ملتقى وادي ميزاب مع وادي زويلي[16].

هما في أصلها قريتان متصلتان عمرتا في زمان واحد، فأما العليا فتنسب لبني مظهر والسفلى تتكون من ميزابيين وبعض العرب والشعانية، وبعض أهل القرى كقرية بني يزجن، وسمين كذلك نسبة إلى إمراة كانت تبيع النورة أي المغرة، أو أهلها كالمغرة بالنسبة إلى الله، أو لكثرة النوافذ الموجودة بها[5].

5/بناء غرداية

"في عام 477 جاء الشيخ باسليمان والشيخ عيسى بن علوان فوجدوا قبيلة المذابيح، وكان الشيخين بأهليهم وأولادهم وجماعة بمواشيهم فتلقاهم الشيخ بوجمعة كبير المذابيح وضيفهم وإختطوا مدينة غرداية على الجبيل الوسطاني وفيه الغار الذي تسكنه داية أثنى الغراب وليست إمراة كما يزعون ووكانت إمرأة لأكلتها اسباع.

عُمرت البلاد وصارت أنصافا بين الشيخين المذكورين وعند ذلك لحقت البقية الباقية من أولاد عبد الله من ناحية وارجلان تاركين ما أسسوه من القرى والبنيان ودخلوا نورة ومليكة وغرداية ولهم بقية إمتزجت مع شعابنة المنيعة ووارجلان ويدخل فيهم من الفروق بني مخرق وأولاد الحاج عيسى وأولاد باهون وبني خليل والحجاج ومنهم إنتشر المذهب الإباضي بهذا الوطن وجاءت سائرالفروق الإباضية"[17]

يقول الشيخ اطفيش أنها سميت باسم الغار ونسب إلى إمراة كانت تنزل به، وقيل الداية اسم غراب.وكان أهلها في جبل بابه السعد، انتقلوا إليه خوفا من جائر نزل بهم، ولما أيس منهم ورجع رجعوا إلى موضع غرداية[18].

ويرى جون مليا أن تأسيها كان في سنة 439هـ/1048م، على يد الأخوين محمد بن يحي وسليمان بن يحي[19].

6/ بريان

"في عام 900 هـ أسس ريان بن محمد قصره على الجبل غرب الجرعاية من الناحية القبلية وحينئذ كانت الصحراء فيها من أعراش الزناخرة وأولاد اعقاب والقرط وأولاد بن هزيله وأولاد سيدي يحيى قليلون لها أولاد الأعراش لا يحركون ساكنا مسالمين لا يظلمون أحد ولا يظلمهم أحد أو لأن بعضهم لم يزالوا يرحلون وينزلون في العطف وهم أولاد سيدي السايح بن امحمد والبعض من أولاد سيدي عثمان مع إخوانهم أولاد مهدي وحاصله فهم بين

بريان والعطف ، فمن جهة بريان كانوا فيه أجدادهم المتوفين في ترابه وإخوانهم أولاد سيدي سعيد بن سعيد ومن جهة العطف كذلك مع المحبة الجارية بينهم وبين أهل العطف" [20]

يقول صاحب كتاب تاريخ بني ميزاب أنّ تأسيسها يرجع أولا إلى العفافرة الذين أخرجوا حوالي 1040هـ/1631م من الأغواط، فاتجهوا جنوبا إلى موضوع يقال له الكبش فنزلوا فيه، ثم انتقلوا إلى الموقع الحالي لبريان وذلك سنة 1090هـ، إلا أن مئذنة مسجد بريان تحمل تاريخ بنائها وهو عام 1101 هـ، وانضم إلى مؤسسيها في فجر تاريخها أولاد يحي الذين كان يسكن فريقا منهم قرية العطف، ثم آل الدبدابة وكلهم مالكية[21].

لكن جون مليا يذهب إلى أن تأسيسها كان في عام 1679م من طرف أولاد نوح والعفافرة، الذين كانوا يعيشون في غرداية حينما اتهموا بتحريك الفتنة بين أهلها، فأخرجوا

منها، حتى وصلوا موضعا يقال له الهانية جنوب بريان الحالية الذي كان مرعى لأولاد يعقوب ورئيسهم يدعى بن ريان الذي ترك لهم مكانا لبناء قصرهم والذي يسمى باسمه عرفانا له[22].

إعادة تعمير برّيان:

"و لما نما البنيان في قصر بريان نزلوا فيه العفافرة لم يسكنوا مع المذابيح [23] و عمرت البلاد بغرس النخيل والأشجار ثم صدر من المذابيح ما لا يليق من بعض صبيانهم ومن لاخلاف لهم يغيرون على أصحاب القصور الخمس فينهبون وأكثروا السلب

فنهوهم فلم ينتهوا، فاتفق أهل القصور الخمس طلبة وعوام على هدم بنيان المذابيح ببريان وبقي بريان خاليا إلى أن كتب الله بعمارته ثانيا وطلب المذابيح التوبة والرجوع إليه

فوقع خلاف بين جماعة المسجد بعضهم يريد الرجوع وبعضهم فلا ومن ذلك افترقوا جماعة البلاد بين شرقي وغربي وبعد ذلك أذنوا للمذابيح بالعودة لبريان بشرط أن لا يعودوا لما كانوا عليه في القديم فرجعوا له عام 1102و شرعوا في البنيان وما كادوا يرجعون إليه حتى توافدت النزلاء وفي مدة عام ونصف رجع أحسن مما كان فنزلوا عليهم أولاد نوح وأولاد الشيخ باناصر وأولاد أخيه سليمان،أولاد وأحفاد وجماعة من بني عسكر فأولاد عابوا وأولاد فارة من المذابيح وأولاد قاسم بن ابراهيم وأصلهم من فقيق

ووقعت فتنة بين أهل العطف فخرج البعض منهم قاصدين بريان فنزلوا عند مفرع شعبة البير وحفروا حواسي قريبة الماء وأرادوا البناء وردوهم أولاد نوح لبريان كما تغلبوا أولاد عبد الله على أولاد السباع في نوره وهدموا قصرهم وأخرجوهم فذهبوا إلى مطلو المهراس الجوفي وأرادوا أن يعمروا فيه فردوهم إلى بريان ولازالت آثارهم بتلك الأماكن وصار الوطن مقسوم شرقي وغربي"

7/تأسيس القرارة

"عام 1900 خرج أولاد بختي من غرداية وأسسوا القرارة وكان منهم طلبة يقرأون القران فإستعانوا ببعضهم بعضا وشرعوا في البنيان واستخراج الأبيار وغرس النخيل وكانوا كثير

من العرب نازلين بخيامهم من أعراش درايسة، وأولاد زيد وسعيد أولاد عمر وأولاد عطاش وليس فيهم طالب يعلم صبيانهم و لا من يعرفهم دينهم اللهم إلا بعض الغرباء يأتون من قورارة أو من ناحية الزاب ومن جملة من تفقة على المذهب الإباضي جميع أولاد أعلاهم، وهم من أولاد زيد وأولاد يختي هم الذين عليهم الإعتماد في المذهب وأصلهم شرفاء مذكورين في بعض التأليف ذكرهم الإمام بن فرحون."[24]

القرارة تقع على وادي زقرير،أسسها أولاد باخه حينما أخرجوا من الأغواط حوالي 1040هـ/1631م أو في 1630م.بعد ذلك بـ 3 سنوات مكثوها في موضع سيدي السلطان على وادي النسا، رحلوا إلى موضع كدية العقارب فنزلوا به وسموه القرارة، بعد حرب مع أولاد نوح أهل قصر المبرتخ، وبعد ان استعانوا بابن جلاب عليهم[25].

إلا أن موتلنسكي يقول أنهم لجأوا إلى غرداية بعد خروجهم من الأغواط التي نبذهم أهلها، ففكروا ساعتها بالعمل في العاصمة وانتدبوا لذلك أربعين رجلا كي يجمعوا المال اللازم لتأسيس القصر.وكان صاحب الفكرة هو رئيسهم حمون الطوبال، وأن جنود من جلاب حالوا بينهم وبين أولاد نوح لبناء قصرهم، وبعد ذلك وقعت بين أولاد نوح وأولاد باخه حرب طاحنة كان النصر فيها لأولاد باخه، كما يذهب إلى أن خروجهم من الأغواط كان حوالي 1661م[26].

8/**تأسيس يسجن**(السنة غير ظاهرة)

"تأسست يسجن على جبل بواكياو،و في الأصل تفيلالت وليست سجلماسة الغربية بل ازاء هذه،وأهلها غير مطمئنين وجميعهم إباضية ماعدا بعض سعيد المخادمة ليس لهم نسب معروف إعتنقوا المذهب الإباضي وفيها أولاد عنان وإخوانهم أولاد موسى بن خالد بن اعنان من عرش أولاد ميمون ذكرهم إبن فرحون المالكي وكانوا نازلين وارجلان شرقا يحتوون على ثلاثة وعشرين قبيلة كما ذكرهم الشيخ محمد بن أحمد في كتابه السلسلة الوافية،وفيها بني مطهر وبعض من نسل باعبد الرحمان الكرثي.يذكرون أن يسجن ليس فيها مالكيا وهذا صحيح" [27] و يذهب القطب أيضا إلى أن أصل المدينة تافيلالت، ويظهر أن إزقن اسم قبيلة بربرية أو أن إسجن هو بالبربرية يعني النصف بالعربية فكانت هذه القبيلة بذلك تعد نفسها نصف أهل غرداية، وقد عمرت من ورقلى، وتقع على بعد كليومترين من غرداية، مساحة قمتها تبلغ 150م^2، وتمتد على الضفة اليمنى للوادي وتأسست سنة 720هـ/1312م [28]

9/ اتفاق العطف: (حفر الآبار،غرس الأشجار والنخيل،حبس الأرض،حرث الأرض المشاع وتخصيص خمس المحصول للمسجدين،و 4 أقسام للفقراء)

" من لم يرض به يتبرؤون منه ولا بيع ولا شراء ولا مصاهرة بينهم ،كان سنة 1193 / 4 ربيع الأول بين الرقباويون والمهداويون وهو صحيح.

ترجع ركنة تاموا لأهل العطف ولأولاد مهدي وأولاد دبور قبة قصر الصوف عوضا عن ركنة تاموا بدياره وحجره يسكنونه بشرط أن لا يسكنون الأجانب إلا من ينتسب إليهم ولا يمدون أيديهم للغير ويكونون من أنصار العطف كل عدو للعطف ولهم الحق في غرس النخبل والأشجار في الوادي تحت أحباس ولا يعارضهم أحدو يحفرون الحواسي ويصلحون بعضهم بعضا، واتفقوا كل الفروق عن جميع الأرض التي ليست ملك لأحد قبل هذا الإتفاق في الوادي من المكان المعروف بالعطف إلى أحباس عند مطلق أولا وأن يبقى على الشيع بين فروق العطف كلهم بلا قسم يحرثونها بما يناسب فصول السنة من نعمة وبقول وما نتج يخرج منه الخمس للمسجدين وأربعة أقسام تقسم بين فقراء كل فرقة على حسبها،ويتفق عقلاء كل قرية على من يقدمونه في نوازلهم ويكون أمرهم شورى بينهم.

وإذا فتح الله عليهم بالغيث فيجهزون لحرث تلك الأرض ومن عجز عن ذلك فليقم القادر عن الحرث ومن رحل عن البلاد

من أولاد بورقبة وأولاد مهدي إذا رجعوا حقهم ثابت فيما وقع عليه الصلح طال الزمن أم قصر ومن حقهم أن يصلوا في أي مسجد من المساجد ولا يمنعون من أحد المسجدين وإذا بنوا مسجدا في قصر الصوف فلا يعارضهم أحد،و على بني مرزوق الخروج فورا"[29]

الخاتمة

بعد عرض الجانب المخصص لتعمير لنشأة قرى وادي ميزاب وتعميرها إتضحت الفوارق بين ما ذكره صاحب المخطوط وما درج عليه المؤرخون الذين عنوا بتاريخ المنطقة ، والذين اعتمدوا في عموم ما كتبوه على المدرسة الفرنسية ، بحيث يمكن أن يشكل ما ذكره صاحب المخطوط إضافة تاريخية ، تفتح آفاقا جديدة للتفكير في إعادة كتابة تاريخ منطقة طالما وضعتها مدرسة الإحتلال بدائرة الإتهامات الإثنية والمذهبية وركزت على دور هذين العاملين في تكوين القرى وتطورها وازدهارها.

و خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

1/ إسم ميزاب: أورد صاحب المخطوط أنه نسبة لرجل من الصفرية إسمه ميزاب بن واشول

بينما الإباضيةو الذين تبنوا رأي إبن خلدون في أصل كلمة مزاب ، وذهب إلى أنها مصاب نسبة لبني مصاب من بني واسين، واصل كلمة مصاب هي مصعب.

2/ دخل الإباضية وادي ميزاب عام 434هـ

هذا يتفق إلى حد ما مع ما توصل إليه الكثير من الباحثين من أن إعادة إعمار وادي ميزاب لا يرجع إلى نزوح سكان ورقلة ونواحيها إلى الوادي، وإنما يعود إلى هجرة الشعب البريدي من الزاب وإفريقية، خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (11م)، في أعقاب تمركز القبائل الهلالية بالمنطقة

3/ قرية العطف كان تأسيسها في القرن الرابع، وكانت آهلة بالصفرية قبل وصول الإباضية إليها

في حين ترى المصادر الإباضية والفرنسية أن العطف أنشاها خليفة بن أبغور عام 402هـ/1012م،

4/ بونورة

قال صاحب المخطوط أنه في عام 434 هـ أختطت القريتين نورت ومليكة،إستبعد أن إسم نورة نسبة التي تبيع النوره، ومليكة نسبة لامرأة تبيع اللك،و يرى الإباضية أن بونورة اسم لقبيلة بريرية، تأسست سنة 457هـ/1056م

5/ بريان

أكّد صاحب المخطوط كما هو متوارث في المنطقة أنه في عام 900 هـ أسس ريان بن محمد قصره

و يجنح الإباضية إلى أن تأسيسها يرجع إلى العفافرة الذين أخرجوا حوالي 1040هـ/1631م من الأغواط وذلك سنة 1090هـ، إلا أن مئذنة مسجد بريان تحمل تاريخ بنائها وهو عام 1101 هـ.

- حدث الإفتراق بشأن عودة المذابيح إلى بريان بعد إخراجهم منها فتسبب في انقسام القرية إلى صف شرقي وآخر غربي

- 6/ القرارة

- ورد في المخطوط أنه في عام 1900 خرج أولاد بختي من غرداية وأسسوا القرارة

- لكن المصادر الإباضية تقول أن من أسسها أولاد باخه حينما أخرجوا من الأغواط حوالي 1040هـ، وموتلنسكي يقول أنهم لجأوا إلى غرداية بعد خروجهم من الأغواط

- 7/بني يزجن

تأسست يسجن على جبل بواكياو،وهي في الأصل تفيلالت ويتفق صاحب المخطوط مع ما أورده القطب في ذلك وفي أن جميع أهلها إباضية

8/ **غرداية**

في عام 477 إستضافت قبيلة المذابيح الشيخ باسليمان والشيخ عيسى وإختطوا مدينة غرداية على الجبل الأوسط وفيه الغار الذي تسكنه داية أثنى الغراب (وهو ما قاله القطب أيضا) وليست إمراة ،ومنهم انتشر المذهب،يقول الشيخ اطفيش أن أهلها كانوا في جبل بابه السعد، انتقلوا إليه خوفا من جائر نزل بهم، ولما أيس منهم ورجع رجعوا إلى موضع غرداية

إلا أن جون مليا يرى أن تأسيها كان في سنة 439هـ/1048م، على يد الأخوين محمد بن يحي وسليمان بن يحي

9/ دلّ إتفاق العطف على أن كل خطط القرى والقصور مرتبطة ب:

حفر الآبار،غرس الأشجار والنخيل،حبس الأرض،حرث الأرض المشاع وتخصيص الخمس المحصول للمساجد،و جزئ منه للفقراء.

فاتضحت أهمية حفظ الأرض بحبسها ، وإحيائها بحرثها، ثم حفظ الحقوق فيها حتى للغائب بموجب الإتفاقيات والمعاهدات.

بعد عرض النتائج ، تبين أن المخطوط قد أضاف معلومات تاريخية بخصوص تعمير وادي ميزاب والتي تحتاج بطبيعة الحال إلى تدقيق ودراسة وتحقيق،الأمر الذي يدعو إلى الغربلة الجدية والحذرة ،علّ ذلك يسهم في إزالة الشوائب التي خلفتها الكتابات الفرنسية المقصودة خاصة والتي علقت بتاريخ المنطقة ،والتي للأسف عملت على تغييب جوانب هامة جدا وحساسة منه كدور المالكية في إعمار وادي ميزاب،والتعايش بين شتى مذاهبه ،في المقابل ركزت على كل ما يمكن أن يرسي نعرات الطائفية والتفرقة.

الهوامش:

1 -كان والده مداحا أو راوي شعبي في الأسواق والمجامع صحب لفترة طويلة أحد معلمي القرآن في البادية

ينظر: عواريب لخضر: بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة،مجلة العلوم الإنسانية ،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة ، ع 17 ديسمبر 2014، ص 296

[2] مصدر الترجمة : لقاء مع أسرته (أحفاده) سنة 2001.

- نجد ذلك أيضا عند كثير من الباحثين ، ينظر: رضوان شافو:الحملة العسكرية الفرنسية على وادي ريغ وردود الفعل الشعبية 1854-1875،مجلة

[3] العلوم الإنسانية،جامعة ورقلة،مارس 2014،ع 14، ص 106.

[4] عرف بعلاجه بالرقية بالقرآن ويستعمل العلوم الروحانية لعلاج السحر والعين لذلك وصفته بعض المصادر الفرنسية بالساحر والمشعوذ ومستغلا لسذاجة الناس، لكن ذلك ضرب من التحريف لأن هذه المهنة كانت معروفة خلال القرن التاسع عشر. واستقر لفترة وجيزة بقصر كرادة بدائرة البيض وحسب تقرير أجري معه في سنة 1862 ذكر أنه كان كثير التنقل بين القصور لممارسة التطبيب الشعبي

ينظر: عواريب لخضر: بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة،مجلة العلوم الإنسنية ،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة ، ع 17 ديسمبر 2014، ص 296

[5] حمو عيسى النوري:دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا،دار البعث ،قسنطينة،دت،مج 1،ص295.

[6] حمو عيسى النوري:دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا،دار البعث، قسنطينة، دت، مج 1،ص 300

Louis Rinn : histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie,librairie adolphe jourdan,1891,p 611-643 .

[7] أيوب بن القاسم: عاصر الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي (ت: 898هـ/1492م) وهو عالم وفقيه، عين شيخا رسميا عن العطف كان ينتقل بين منازل المسلمين ، ويصلح ذات البين فقد قيل في وارجلان، وقيل في أريغ، وذلك أنه وقعت فتنة بين أهاليها ، فأراد أن يحكم بينهم بالدين والعقل، فرفضوه وقتلوه وقبره معروف في العطف وهو ضمن المقامات التي تتخذ عبرة .

ينظر معجم أعلام الإباضية منذ نشأة المذهب إلى نهاية ق 14(جزء المغرب)- جمعية التراث- إشراف د.محمد ناصر صالح ولجنة من الأساتذة، القرارة 1995ت 898.

[8] مخ ، ص 34.

[9] امحمد بن يوسف اطفيش: الرسالة الشافية ، طبعة حجرية، دط، دت،ص 84،39،38. معجم مصطلحات الإباضية،مجموعة من الباحثين،وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،سلطنة عمان،2008 ج2 ، ص951.

[10] كمال عويسي : عناصر العملية التربوية والانتماء المذهبي، مذكرة شهادة ماجستير القطب الجامعي بغرادية، 2011/2010 ، ص87.

bulletin société d'antropologie de lyon ,masson et C[ie] librairie,paris 1911,p88

[11] - Brahim Cherif : Etude d'anthropologie historique, et culturelle sur le MZAB, Thèse Pour doctorat d'anthropologie, Paris VIII, P: 58,59.

[12] المخطوط ص 78.

[13] امحمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق،ص 22.

يوسف بن بكير: تاريخ بني ميزاب،المطبعة العربية،1992 ،ص22.

Charles Amat :le mzab et les m'zabites,paris,challamel et c[ie] editeurs librairie algerienne et coloniale,18- M. Harnier:L AFRique, Librairie classique, ued, 1887.

J. Melia : Opcit, P180.

[14] تأسست حوالي403هـ/1012م ، ينظر معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص951.

-عبد القادر موهوبي :ومضات تاريخية وإجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة،دار البصائر،2011،ص135-136

[15] (مخ) ص 78.

- ghardaia guide bleu,librairie Hachette ,1977,p 31

[16] O.Niel : Géographie de l'Algerie, 2[eme] édition, bonne IMP : dagnand, 1876, p219 ,220

Jean Melia Ghandaia, Paris, Lib : Chanpenter edt : fasquelle, 1930, P56.

-Ghardaia-guide bleu,p31

تأسست سنة 438هـ/1046م، ينظم معجم مطصلحات الإباضية،ج2،ص951..

[17] مخ، ص 9.

- ناصر بلحاج:النظم والقوانين العرفية بوادي ميزاب في الفترة الحديثة،رسالة دكتراه،جامعة قسنطينة2013،2014/2،ص19

[18] أمحمد بن يوسف أطفيش: المصدر السابق،ص34.

[19] Jean Melia : Opcit , P71

Emile masqueray,Les kanouns des beni mzab,etude documents berberes,1878,p216-218

تأسست سنة445هـ/1053م: ينظم معجم مصطلحات الإباضية،ج2،ص951.

[20] مخ ،ص 12.

[21] يوسف بن بكير: تاريخ بني ميزاب، المطبعة العربية، غرداية 1992م،ص62،61.

Charles AMAT : Opcit, P48-49.

[22] Jean Melia :op cit.P29.30.

معجم مصطلحات الإباضية،ج2، ص951.

[23] مخ ص 14.

[24] مخ ص 12.

[25] يوسف بن بكير: المرجع السابق،ص62،61.

[26] Charles AMAT : Opcit : P49.

J. Melia : Opcit, P56, 195, 196 .

Oniel : Opcit, P289

ghardaia guide bleu,p30

[27] (مخ) ص 12.

[28] امحمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق،ص 33،32 - يوسف بن بكير: المرجع السابق،ص23- تأسست سنة 748هـ/ 1347م، ينظم معجم مطصلحات الإباضية،ج2،ص951.

[29] مخ ، ص 16.

مصادر البحث

1/حمو عيسى النوري:دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا،دار البعث ،قسنطينة،دت،مج 1

2/رضوان شافو:الحملة العسكرية الفرنسية على وادي ريغ وردود الفعل الشعبية 1854-1875،مجلة العلوم الإنسانية،جامعة ورقلة،مارس 2014،ع 14

3/كمال عويسي : عناصر العملية التربوية والانتماء المذهبي، مذكرة شهادة ماجستير القطب الجامعي بغرادية، 2011/2010

4/عبد القادر موهوبي :ومضات تاريخية وإجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة،دار البصائر،2011

5/عواريب لخضر: بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة،مجلة العلوم الإنسنية ،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة ، ع 17 ديسمبر 2014

6/امحمد بن يوسف اطفيش: الرسالة الشافية ، طبعة حجرية،دت

7/معجم أعلام الإباضية منذ نشأة المذهب إلى نهاية ق 14(جزء المغرب)- جمعية التراث- إشراف د.محمد ناصر صالح ولجنة من الأساتذة، القرارة 1995

8/معجم مصطلحات الإباضية،مجموعة من الباحثين،وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،سلطنة عمان،2008 ج2

9/ناصر بلحاج:النظم والقوانين العرفية بوادي ميزاب في الفترة الحديثة،رسالة دكتراه،جامعة قسنطينة 2014/2،2013

10/يوسف بن بكير: تاريخ بني ميزاب،المطبعة العربية،1992

11/Aucapitaine : anale des voyages ,les beni mzab ,chap 2
12/- Brahim Cherif : Etude d'anthropologie historique, et culturelle sur 13/le MZAB, Thèse Pour doctorat d'anthropologie, Paris VIII
14/bulletin société d'antropologie de lyon ,masson et C^{ie} librairie,paris 1911
15/Charles Amat :le mzab et les m'zabites,paris,challamel et c^{ie} editeurs librairie algerienne et coloniale,18- M. Harnier:L AFRique, Librairie classique, ued, 1887
16/Emile masqueray,Les kanouns des beni mzab,etude documents berberes,1878
17/ghardaia Guide bleu ,librairie hachette 1977
18/ Jean Melia Ghandaia, Paris, Lib : Chanpenter edt : fasquelle,
19/Louis Rinn : histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie,librairie adolphe jourdan,1891
20/O.Niel : Géographie de l'Algerie, 2eme édition, bonne IMP : dagnand, 1876, p219 ,220 .